

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

تَجَلِّيَاتُ الْخِطَابِ الْحِجَاجِيِّ الْبَلَاغِيِّ وَخَصَائِصُهُ فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ

Argumentative rhetorical speech and its characteristics in Surah al Rahman

ط.د: شعبان توفيق toufik chabane ، أ.د/ بلحاجي فتيحة fatiha belhadji

1 طالب دكتوراه، المركز الجامعي مغنيّة، كليّة الآداب واللُّغات قسم اللُّغة العربيّة، مخبر المعالجة الآلية للغة العربية-

تلمسان، Doctorent; Maghnia University Center, Faculty of Literature and Languages,

Department of Arabic Language,,LLA- Tlemcen

Toufk.chabane@cumaghnia.dz

2 بلحاجي فتيحة، أستاذ، المركز الجامعي مغنيّة، كليّة الآداب واللُّغات قسم اللُّغة العربيّة، مخبر الدراسات اللغوية

والأدبية الأندلسية- تلمسان،

Professor, Maghnia University Center, Faculty of Literature and Languages, Department

of Arabic Language, LELLA- Tlemcen

fatihabelhadji13@gmail.com

المؤلف المرسل: شعبان توفيق toufik chabane الإيميل: Chabane.toufik@yahoo.com

تاريخ القبول : 02-04-2024

تاريخ الاستلام: 18 – 11 - 2023

الملخص:

تروم الدراسة الكشف عن ماهية وخصائص الحجاج البلاغي في عروس القرآن، وهي تهدف إلى رصد مختلف عناصر البلاغة (البيان، المعاني، البديع) المشكّلة للحجّة الإقناعيّة في السُورة، وما لها من دلالات خاصّة تتكشف جرائها إقناعيّة الخطاب القرآنيّ وتتجلى معانيها للتأثير في المتلقي، باعتباره خطاباً موجّهاً هدفه الإقناع بالدرجة الأولى، وإنّما التركيز في الخطاب القرآنيّ على التّقنيات البلاغيّة غرضه الوصول إلى غايته ووجهته الحجاجيّة.

الكلمات المفتاحية: الحجاج البلاغيّ؛ إقناعيّة الخطاب القرآنيّ؛ سورة الرّحمن؛ حجاجيّة الأساليب البلاغيّة.

Abstract:

The study aims to reveal the nature and characteristics of the rhetorical pilgrims in the bride of the Qur'an, and it aims to monitor the various elements of rhetoric (the statement, the meanings, the beautiful) that form the persuasive argument in the surah, and its special connotations that reveal the persuasiveness of the Qur'anic discourse and its meanings are revealed to influence the recipient, as it is a discourse Directed, its goal is primarily persuasion, but the focus in the Qur'anic discourse on rhetorical techniques, its purpose is to reach its persuasive goal and destination.

Keywords: Argumentative rhetorical, persuasion of the Quranic speech; Surah al Rahman, argumentative rhetorical approaches.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين. أمّا بعد...

الحجاج البلاغي مع برلمان وتيتيكاه:

نظريّة الحجاج نظريّة ترتكز أساسا على الإقناع والتأثير باستخدام اللغة، التي تحمل في جوهرها الوظيفة الحجاجيّة بامتياز، ويعدّ الحجاج البلاغيّ من أهمّ أنواع الحجاج، وهو اتجاه قديم (أرسطو) حديث (برلمان) ترتكز عليه النصوص والخطابات رغبة في إحداث الإقناع والتأثير، ومع برلمان وتيتيكاه فإنّ منطلق بناء الحجاج وقيّمته في¹ ولما كانت مقارنة هذين العالمين لنظريّة الحجاج من جانبها البلاغيّ، ارتأينا أن ننطلق في استعراض الأساليب البلاغيّة الموجودة في الخطاب القرآنيّ (سورة الرّحمن أنموذجا) لبيان العلاقة بين هذه الأساليب وحجيّة الخطاب. فكيف يساهم الجانب البلاغيّ للخطاب في بناء حجّيته؟ وإلى أي مدى كانت مظاهره شكلا من أشكال الإقناع والتأثير في المتلقي؟

وقد سعى البحث إلى نتائج ذات أهميّة مسترشدا بنظرية الحجاج، مع الوصف كأداة للتحليل فكان أبرزها: أنّ السّورة اكتسبت قوّة إقناعيّة ذات بعد تأثيريّ كبير، من خلال حضور مختلف الأساليب البلاغيّة فيها.

المحور الأول: التعريف بسورة الرّحمن

سورة الرّحمن من سور القرآن الكريم المدنيّة* ترتيبها في المصحف الشّريف الخامسة والخمسون، عدد آياتها ثمانية وسبعون آية.² "وَوَجْهٌ تَسْمِيَةٌ هَذِهِ السُّورَةُ بِسُورَةِ الرَّحْمَنِ أَتَاهَا ابْتَدَأَتْ بِاسْمِهِ تَعَالَى: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (01) وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ سَبَبَ نَزُولِهَا قَوْلُ الْمُشْرِكِينَ المحكي في قول تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ³ وهي تعالج كسائر السّور المدنيّة موضوعات التشريع، وأصول العقيدة الإسلاميّة.

"ابتدأت السّورة بتعديد آلاء الله الباهرة، ونعمه الكثيرة الظّاهرة على العباد، التي لا يحصها عدّ، وفي مقدمتها نعمة تعليم القرآن، بوصفه المنّة الكبرى على الإنسان. ثم فتحت السّورة صحائف الوجود، النّاطقة بآلاء الله الجليلة، وأثاره

الخطاب، إنّما يتشكل من خلال حضور الجانب البلاغي فيه، إذ يعرفان موضوع نظريّة الحجاج بقولهما: موضوع الحجاج هو درس تقنيّات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التّسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التّسليم، والغاية التي يسعى المؤلّفان إلى تحقيقها من خلال بحثهما أن يجعلوا العقول تدعن لما يطرح عليها أو تزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السّامعين، بشكل يبعثهم على العمل المطلوب، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السّامعين مهتئين لذلك العمل في اللّحظة المناسبة.

العظيمة التي لا تحصى. وتحدّثت السّورة عن دلائل القدرة الباهرة في تسيير الأفلاك، وتسخير السّفن الكبيرة تمخر عباب البحار، وكأها الجبال الشّاهقة: وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (24) ثمّ بعد ذلك الاستعراض السّريع لصفحة الكون المنظور تطوى صفحات الوجود وتلاشى الخلائق بأسرها: كُلُّ مَنْ عَلَّمَهَا فَإِنْ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) وتناولت السّورة أهوال القيامة، فتحدّثت عن حال الأشقياء المجرمين وما يلاقونه من الفزع والشّدائد في ذلك اليوم العصيب. وبعد الحديث عن مشهد العذاب للمجرمين عرضت السّورة مشهد النّعيم للمتّقين في شيء من الإسهاب والتّفصيل: {وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (46)} وختمت السّورة بتمجيد الله جلّ وعلا، والثناء عليه، على ما أنعم على عباده، وهو أنسب ختام لسورة الرّحمن⁴ "ومن مقاصد السّورة: الإعلام بآلاء الله الباهرة وأثار رحمته الظّاهرة في الدّنيا والآخرة، ترغيبا في الإيمان وتحذيرا من الكفران"⁵

محاولة لتجلية وإظهار حجاجيّة الخطاب القرآني من النّاحية البلاغيّة في سورة الرّحمن، ركزت الدّراسة على أهمّ الألوان والوسائل البلاغيّة البارزة، دون الالتزام بذكرها جميعا، فإنّما القصد التّمثيل على سبيل التّدليل وليس الغرض إحصائيا، وانطلاقا من هذا المنهج، وسعيا لمقاربة هذا النّصّ العروس ذي الصّبغة الحجاجيّة عمدنا إلى تقسيم هذه الدّراسة إلى الحجاج بالبيان، الحجاج بالمعاني، الحجاج بالبديع:

أولاً- حجاجية البيان:

المعلوم أنَّ علم البيان "هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحتز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"⁶ وقد تجسّد البيان بصورة واضحة في السورة الكريمة كالآتي:

1-التشبيه:

تزخر سورة الرّحمن بأنواع من التشبيهات، جاءت فيها لتقريب الصّورة وتجسيدها معنويًا للمتلقّي بأيسر طريق وأفضل أسلوب، وهي -بلا شك- ذات أبعاد حجاجية، تتجاوز البعد الجماليّ نذكر منها: التشبيه المرسل المجمل في قول الله تعالى: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ(14)} والذي ورد في صورة فنية بديعة عرضت المعنى وقدمته في أكمل وجه، حيث شهِت الآية الكريمة الصّلصال (المشبه) بالفخّار (المشبه به) مستعملة الكاف أداةً، مع عدم ذكر وجه الشبه؛ لأنّه معلوم. "والصلصال الطين اليابس غير المحروق إذا نقر بإصبع أو يد تكون له صلصلةٌ وصوت، فإذا أحرق بالنار فهو الفخّار"⁷ فصار القصد من القول بفضل هذا التشبيه أوضح وأبين من أن يقال: صلصال يحترق حتّى يصير يابسًا متحرّجًا. وقد قدّم القرآن الكريم حجّته بأسلوب التشبيه الذي قارب صورة المشبه وصورة المشبه به، فارتسمت واضحة من خلال هذا الأسلوب التصويري الممتاز لينقاد ذهن القارئ إلى النتيجة المبتغاة، ويصير الجمع بين المشبه والمشبه به وسيلة لتوجيه المتلقّي.

ومن التصوير البديع أيضا التشبيه المرسل المجمل في قوله: {وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ(24)} حيث شبه سبحانه وتعالى السفن وهي تمخر عباب البحر، رائحة جائية، بالجبال الشاهقة⁸ فاختار صورة مفعمة بالإحساس والجمال والتأثير جمع فيها بين طرفين هما: السفن والجبال، وحذف وجه الشبه بينهما، فجاءت الحجّة بادية المعالم بأسلوب التشبيه (سفن شاهقة العلو) لترسم وتشكل لدى المتلقّي الصورة التي كانت تبدو غامضة، فيتخيّل شكلها معتمدا على ما قدّم له من مشابهة، وهذا يجعل للمعنى صورة جليّة ومحسوسة، لا يمكن أن تكون لو جاء الكلام على الحقيقة لا المجاز.

وفي الآية الكريمة: {فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ(37)} تشبيه تمثيليّ انتزع وجه شبه من أمور

متعلّدة: "حيث أراد بالوردة الغرس، والوردة تكون في الربيع أميل إلى الصّفرة، فإذا اشتدّ البرد كانت وردة حمراء، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة أميل إلى الغبراء، فشبه تلون السماء حال انشقاقها بالوردة، وشبهت الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه. والمشبه والمشبه به كلاهما حسيّ، أي من قبيل تشبيه المحسوس بالمحسوس"⁹ والسماء ورّدة: تشبيه بليغ؛ التفاعل بين ركنيه له تأثير في الوجدان مع إقناع مرّكز للفكر.

كما نجد التشبيه المرسل المجمل للحوار العين في صورة رائعة باهرة: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ(58)} "فقد شبهنّ بالياقوت في حمرة الوجه، والمرجان: أي صغار الدر في بياض البشرة وصفائها وتخصيص الصغار لأنّه أنصع بياضا من الكبار"¹⁰ فجاء هنا التشبيه أفيد وأنفع وأقوى حجاجيًا.

للتشبيه -وهو أحد أقوى وأشهر الصور البيانية- وظيفة تأثيرية على نفس المتلقّي "لأنّها أنست بالمعتاد فربّما قلّ تأثرها له، وغير المعتاد يفجّؤها بما لم يكن به لها استئناس قطّ فيزعجها إلى الانفعال"¹¹ وبذلك كانت الصور التشبيهية على اختلافها تكتسي قيمة جمالية وتأثيرا غير منقطع النظير، والظاهر أنّ الله تعالى وهو الباطن يركّز على استعمالها بهذه الصورة طلبا لتحصيل وظيفتها الحجاجية.

2-الاستعارة:

من أشهر تعريفاتها أنّها "ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل"¹² "تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلّها المتكلّم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية"¹³ ففي قول الله تعالى: {وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ(6)} استعارة تصريحية تبعية. وذلك للتصريح فيها بلفظ المشبه به، حيث شبه انقياد النجم والشجر وخضوعهما لله بـ(السجود) ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو (السجود) للمشبه وهو (الانقياد) ثم اشتقّ من السجود بمعنى الانقياد. "المراد بسجودهما انقيادهما له تعالى فيما يريد بهما طبعاً، شبه جريهما على مقتضى طبيعتهما بانقياد الساجد لخالقه وتعظيمه له، ثم استعمل اسم المشبه به في المشبه فهناك استعارة مصرّحة تبعية"¹⁴

في النَّفْس من صَرِيحِهِ الَّذِي لو أرادَهُ لقال: ظهائرُ الْفُرَشِ أَجْمَلُ وأَبهى.

ومن الْكِنَايَةِ كناية عن موصوف في قوله: {فَمِنْ قَاصِرَاتِ الطَّرَفِ... (56)} "وقصور الطَّرَفِ في الأصل موضوعة للعفاف على جهة التَّوابع والأرداف؛ وذلك أن المرأة إذا عَفَّتْ قصرت طرفها على زوجها، فكان قصور الطَّرَفِ ردفاً للعفاف، والعفاف ردف وتابع لقصور الطَّرَفِ" ¹⁹ فيتَّضح من هذا المثال أن الله عزَّ وجلَّ أراد من خلال هذه الْكِنَايَةِ التَّأثير في المخاطبين، من خلال تشويقهم للجنان وما فيها من نعيم.

يعبَّرُ بالكناية دوماً لشحن الطَّاقة الْحِجَاجِيَّةِ للقول، فهي تركيب يؤدي وظيفته الْحِجَاجِيَّةِ الإقناعِيَّةِ زيادةً على الوظيفة الدَّلَالِيَّةِ، فيتوصَّل من خلال توظيفها بسهولة إلى النَّتِيْجَةِ الَّتِي يبتغيها الباطن، ويودُّ إقناع المتلقي بها.

3- التَّوْهِيم:

في قول الله تعالى: {وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (06)} تكثيف للطَّاقة الْحِجَاجِيَّةِ وتوجيه إلى النَّتِيْجَةِ الختاميَّةِ من خلال أسلوب التَّوْهِيم وهو "عبارة عن إتيان المتكلم بكلمة، يوهم باقي الكلام- قبلها أو بعدها- أن المتكلم أراد اشتراك لغتها بأخرى، أو أراد تصحيفها أو تحريفها، أو اختلاف إعرابها، أو اختلاف معناها، أو وجهها من وجوه الاختلاف، والأمربضد ذلك فإن ذكر الشمس والقمر يوهم السَّامِعُ أَنَّ النَّجْمَ أحد نجوم السَّماء، وإنَّما المراد النَّبْتُ الَّذِي لا ساق له" ²⁰

"وصَفَتِ الْآيَةُ الثَّامِنَةُ والأربعون الْجَنَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَعَدَّهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِلَّذِينَ يَخَافُونَ رَبَّهُمَا بِأَنَّهُمَا (ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) وقد يتسرع بعضنا قائلًا إِنَّ (الأفنان) ليست إِلَّا جمعا لـ(فَنٍّ) فهذا هو ما يتبادر إلى الذِّهن حين تذكر الجنان والبساتين، ولكن إذا عرف الإنسان أَنَّ (أَفْنَانَ) يمكن أيضا أن تكون جمع لـ(فَنٍّ) إذ إِنَّ صِيْغَةَ أَفْعَالٍ هي جمع لـ(فَعْلٍ) مثلما هي جمع لـ(فَعْلٍ) و(فَعْلٍ) و(فَعْلٍ) جاز أيضا عنده أن يكون المعنى هو أَنَّ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ ذَوَاتَا فنون وألوان من المتع والنعيم الإلهيَّةِ" ²¹ والتَّوْهِيمُ إنَّما هو استهداف للعقل وإثارة له، رغبة استمالته تجاه فكرة المخاطب. ويمكن للقارئ اكتشافه بإعمال عقله، ومتى اكتشفه أقرَّ بصحَّةِ أطروحته؛ لأنَّه يتوصَّل إلى فهمه بنفسه، وقد اقتسم مع الباطن تشكيل فكرته، وبالتالي يصل إلى الاقتناع بسهولة وسلاسة.

بملاحظة بسيطة يتبيَّن لنا أَنَّ القول الاستعاري في الآية الكريمة، له قوَّةٌ حجاجِيَّةٌ عالية مقارنة بالقول العادي، فلو افترضنا وجود القول: النَّجْمُ وَالشَّجَرُ خاضعان. لكانت القوَّة الْحِجَاجِيَّةُ أَقَلَّ درجة، والمتكلم هنا في حاجة ماسَّة إلى الدَّلِيلِ الأقوى وهذا ما تضمنه الاستعارة. ويمكن أن نمثِّل لها بما يلي:

ن: خضوعهما لله تعالى

النَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ

النَّجْمُ وَالشَّجَرُ خَاضِعَانِ

الاستعارة وسيلة فيها إشراك للمخاطب أو السَّامِعِ في تأويل المعنى تعمل على "بناء الْحِجَاجِ بوصفها جملة من الصِّفَات والأفعال القادرة على التَّأثير في المخاطب واجتذابه لتصديق الخطاب والعمل بدعواه" ¹⁵

3-الكناية:

المراد بِالْكِنَايَةِ "أن يُريدَ المتكلم إثباتَ معنًى من المعاني، فلا يذكرُها بِاللَّفْظِ الموضوع له في اللُّغة، ولكنَّ يَجيءُ إلى معنى هو تاليه ورِدُّهُ في الوجود، فيؤمى به إليه، ويجعله دليلاً عليه" ¹⁶ فالْكِنَايَةُ لا تصرِّح بالمعنى بل تلمِّح إليه تلميحا وتعرِّض إليه تعريضا.

السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ تزخر بأنواع الْكِنَايَةِ وأقسامها، ممَّا زاد في طاقتها الْحِجَاجِيَّةِ وسرَّع الوصول إلى الفكرة الرَّئيسِيَّةِ، وعمل على تحقيق الإقناع، فمن الْكِنَايَةِ: كناية عن صفة؛ وهي صفة الانتظام في قول الله تعالى: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) "والْحُسْبَانُ كناية عن انتظام سيرهما انتظاما مطَّردا لا يختلُّ حساب النَّاسِ له والتَّوَقُّيتُ به" ¹⁷ ومنها كذلك كناية عن صفة العدل في قول الله تعالى: {وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7)} ومنها أيضا قوله: {مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ... (54)} وهي كناية عن نفاسة ظهائر الفرش. فإذا كانت البطانة من ديباج، فما بالك بالظَّاهِر من الفراش؟ وحجاجِيَّةُ الْكِنَايَةِ ههنا إنَّما تكمن في الانتقال من المعنى الَّذِي يفيد ظاهراً لللفظ إلى لازم معناه الَّذِي يترتَّب جرَّاء تأويل المتلقي؛ أي الانتقال من المعنى إلى معنى المعنى على حدِّ تعبير عبد القاهر الجرجاني الَّذِي يقول: فإن أنت كُنَّيتَ كان أَهْبَى لِمَعْنَاكَ، وَأَبْلَى مِنْ أَنْ تَدْعَ الْكِنَايَةَ وتُصرِّح بِالَّذِي تُريدُ. وكان لكلامك مزيةً لا تكون إذا عدلت عن الْكِنَايَةِ إلى التَّصريح. ¹⁸ إذ يجد المتلقي في قوله: {مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ... (54)} أَنَّ مَكْنَى الكلام أَوْفَع

المقصود لا الفاكهة، فجاء المعبر به أبلغ وأكد وأقوى لإثبات المعنى المراد، ولو ترك التقديم هاهنا لما حصل هذا التأكيد. كما قديم المسند (شبه الجملة) على المسند إليه لغرض حجاجي وهو إفادة الاختصاص والاهتمام والتعظيم، ونذكر من ذلك قول الله تعالى: {وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَأَتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (24)} حيث حصل تقديم الخبر (له) مع أن حقه التأخير، والداعي إلى ذلك هو أن المسند محل اهتمام وتعظيم؛ فالبدء بذكره من أول الأمر دفع التوهّم والشك، وأعطى القوة في نسبة ملك الجواري المنشآت لله تعالى، بل ونفى أن يكون غيره مالكا لها أو شريك فيها، وهذا قمة الاحتجاج.

وفي مواضع متعدّدة اقتضى المقام التقديم والتّمكين للمسند إفادة للقصر،²⁴ وفي ذلك كله يريد الله تعالى أن يؤكد ويبين أن الجنة هي مكان النعيم الذي ترقّبه نفوس المخاطبين: {فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50)/ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زُوجَانِ (52)/ فِيهَا قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ... (56)/ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (62)/ فِيهَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ (66)/ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (68)/ فِيهَا خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (70) وقد جاء التّنكير لهذه الموجودات في الجنة مناسبا للمقام، إذ في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فهي عندهم ليست معروفة ولا معلومة، فوافق تنكيرها لفظا معناها.

لاشك أن بلاغة النظم القرآني من خلال إعادة ترتيب الكلام (التقديم والتأخير) ليس القصد منها إحداث أثر جمالي فقط، وإنما الغرض الوصول من خلالها إلى الإقناع، وقد حرص عبد القاهر الجرجاني على بيان قيمته التي تتجاوز كونها للعناية فقط²⁵ وإنما هناك سرّ بلاغيّ ومزيّة يحدّدها كل من السياق والمقصديّة.

3- الحذف:

وهو نوع من الإيجاز، وتتجلى أهميته في كونه يساعد على حصول الانفتاح القرائي للمتلقى، فيشتغل على توظيف طاقاته التفكيرية والتأويلية. ومما انتهى إليه الدرس في باب الحذف أن هذا الأخير يقع على الحرف والكلمة والجملة، فمن حذف الحرف حذف أداة النداء: {سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31)} والتقدير "يا" أيّها الثّقَلَانِ، ليستعدا لقبول الكلام.

ومن حذف الكلمة حذف في الآية الأولى من السورة ليأتي الكلام على قدر المقام موجزا فهو "إمّا خبرا لمبتدأ محذوف

التصوير في السورة عامّة أكسبها قوّة حجاجيّة مع الوظيفة الجماليّة ممّا جعله وسيلة أساسيّة وهامّة من وسائل الإقناع.

ثانيا- حجاجيّة المعاني:

علم المعاني هو "تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره، ليحتز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"²² ومن أهم ما ورد في السورة من هذه التراكيب:

1- الاستفهام:

يعد أسلوب الاستفهام من أبرز الأساليب الإنشائيّة البلاغيّة التي تلعب دورا كبيرا في عمليّة الحوار والإقناع، والاستفهام في المناظرة لا يرتبط بدلالته الحقيقية إلّا فيما ندر، بل يؤدي أغراضا أخرى تعكس الطّاقات الحجاجيّة التي ينطوي عليها²³ وفي السورة نجد هذا النوع من الاستفهامات التي تخرج عن أغراضها الحقيقيّة لتؤدي غايات حجاجيّة، إذ يردّد الله تعالى الاستفهام عدّة مرات بعد كل آية أو آيتين: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} والمعنى لم يا معشر الإنس والجنّ تكذبون بنعم الله تعالى؟ (خلقكم، جعل لكم مشرقين ومغربين، فصل بين البحرين، رزقكم اللؤلؤ والمرجان، وحملكم على السفن...) فالآية توتّج المكذّبين من الإنس والجنّ بنعم الله تعالى، والاستفهامات هنا جاءت على شكل حجج لتفنيد كلّ احتمال يدعي القدرة على تكذيب وجود آلاء الرّحمن، إنّها استفهامات تلزم المخاطب الإدعان لنتيجة واحدة هي الإقرار بالجواب وعدم الإنكار.

وفي قوله: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (60)} استفهام إنكاريّ يفيد معنى التّفي؛ وهو هنا أقوى من الإنبات؛ لأنّ المخاطب أمام استفهام غير حقيقي، فالزّمة أن ينقاد لنتيجة واحدة ويقرّ بالجواب الضّمنيّ الذي يوحي به السّؤال.

2- التّقديم والتّأخير:

التّقديم نمط من أنماط الكلام يقع بكثرة في لغة القرآن الكريم وآيه، ومن بدائعه الجليّة ولطائفه العظيمة التي تروم إقناع المخاطب وإفهامه بما يوافق مقاصد المتكلم الحجاجيّة في عروس القرآن وقفنا على ما يلي:

تقديم الخبر على المبتدأ التّكررة، وهو غير قليل في السّورة الكريمة، قال الله تعالى: {فِيهَا فَاكِهَةٌ ... (11) شبه الجملة (فيها) مسند تقدّم على المسند إليه التّكررة (فاكِهَةٌ) والغرض القصر والتّخصيص، فكان المكان (الجنة) هو

تقديره: (هو) الرَّحْمَنُ، أو مبتدأ خبره محذوف يقدر بما يناسب المقام²⁶ ألا ترى أنك ترى النفس كيف تتفادى من إظهار هذا المحذوف؟ وكيف تأنس إلى إضماره؟ وتري الملاحظة كيف تذهب إن أنت رمت التكلم به؟²⁷ وفي السورة حذف للمفعول به الذي استترفاعله أيضا في الآية: {عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2)} فالفعل (عَلَّمَ) يتعدى إلى مفعولين، حذف الأول منهما، إرادة للتعميم؛ ولأن أصل العناية هنا موجبة لإثبات الفعل لا المفعول وجدنا القرآن يأبى ذكره ويطرحه قصدا. ومنها أيضا حذف الفاعل في: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3)} والفاعل هو الله عز وجل، إذ يستحيل أن يكون الخالق غيره. فكان الغرض من الحذف في هذه الآية القرآنية التفاعل مع الفجوة التي أحدثها هذا الحذف، وقد قيل: ما حذف المحذوف إلا ليذكر. وفي الآية: {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5)} حذف خبر الشمس والقمر واستغنى عن ذكره، وتقديره: جاريان أو كائنان. وحذف المبتدأ في الآية: {فَمِنْ قَاصِرَاتِ الطُّرَفِ ... (56)} أي: فمن نساء والمحذوف (نساء) قد ترك اختصارا وتخفيفا.

ومن حذف شبه الجملة: حذف الجار والمجرور في الآية: {كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29)} أي من الشؤون. ولو ذكر في هذا الموضع لصار الكلام غثا ممجوجا، وزيادة لا حاجة لها.²⁸ وفي هذا "تتمثل طاقة الحذف الحجاجية في كون المتكلم يسقط الحجّة من حديثه ليدفع بالمخاطب إلى أن يلتقطها فيتبناها ويجعلها حجّة الخاصة، وإلى أن يملأ بنفسه الفراغ المشار إليه بنقاط الاسترسال"²⁹ فالحذف يدفع المتلقي إلى الاهتمام بالخطاب والاجتهاد في إدراك معانيه المضمرّة، فيتمكّن من الوصول إلى المقصدية. ضف إلى ذلك أن من علامات الحذف البليغ الذي يرفع قيمة الكلام، أنه إذا أظهر المحذوف زال ما في الكلام من بهجة وطلاوة وجمالٍ فني وإبداع.³⁰

4- الإطناب:

الإطناب زيادة اللفظ على المعنى لفائدة³¹ فهو محمود إن بيسط فيه الكلام لتكثير وزيادة الفائدة، وضمان وصول الإقناع إلى أقصاه عكس الإسهاب فهو مذموم، كون بيسط الكلام والتطويل فيه بغير فائدة، فالأول بلاغة، والثاني عي. وبعد ذكر الخاص بعد العام من الإطناب، قال الله تعالى: {فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11)} فخصت الآية الكريمة النخل؛ لأنه أهم شجر الفاكهة عند العرب وأشهرها.

ومن الاختصاص أيضا قوله تعالى: {فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُْمَانٌ (68)} فقد عطف النخل والرمان على الفاكهة، وهما منها، وذلك اختصاصا لهما تنبيها وبيانا لفضلهما، كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران³² وليس الغرض من هذا الاستخدام إلا خدمة وإبرازا للوظيفة الحجاجية. وقول الله تعالى: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14)} وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ (15)} إطناب وزيادة، والداعي إليه بيان مادة الخلق، إجابة عن تساؤل قد يدور في ذهن المتلقي بعد الآية السابقة: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3)} وفي قوله: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ... (33)} تفصيل بعد إجمال سبقه، في قوله قبلها: {أَتُهَا الثَّقَلَانِ} والغرض منه حصول زيادة في الفهم، ورسوخ للفكرة في الذهن.

قال الله تعالى: {وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (46)} نرى الإطناب والتوسع بعد ذكر (جَنَّاتٍ) فهما جنتان فهما كذا وكذا من النعم والآلاء (عيون الماء، الفاكهة، الفُرش، الحور العين...) وغرضه التأثير في المخاطب والترغيب في السعي لنيلهما. ومثله أيضا بعد قول الله تعالى: {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ (62)} فقد توسّع في عرض ما فيهما؛ ليتعرّف المؤمن بشيء من التفصيل المشوق على ما ينتظره من جزاء، فكان هذا مجلبة لإثارة العقل وإيقاد للذهن.

وفي قول الله تعالى: {لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْفُسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ (56)} ذكر أنه لم يمسسهن أنس، وأضاف بعدها: وَلَا جَانٌ. وهذا إطناب غرضه قطع الشك عند السامع، ودفع الإيهام والظن لديه "قوله: وَلَا جَانٌ، تتميم واحتراس، وهو إطناب دعا إليه أن الجنة دار ثواب لصالحين الإنس والجن، فلمّا ذكر (أنس) نشأ توهم أن يمسهن جن فدفع ذلك التوهم بهذا الاحتراس"³³ وكثرها بعدها في الآية (74)، أيضا وهو تكرير يهدف إلى توكيد وتوضيح المراد، وتثبيت للمعنى مع تبديد الشكوك.

أمّا ورود الآية: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} في نيف وثلاثين مرة فالغرض منه ليس تكرار توكيد، ولا هو تكرار من غير فائدة، وإنما جاء لتعدد المقامات وتعدد المتعلّق؛ فكل آية مكررة إنما هي للمعنى الذي ذكر قبلها، وليس يعد ذلك من التكرار في شيء.³⁴ فهو استفهام يعد حجّة تقريرية على ما قبله في كل مرة.

وخلاصة القول أن علم المعاني يعدّ آليّة ووسيلة بلاغية، تساهم بشكل كبير في عملية الإقناع، يستخدمها القرآن

الكريم لأغراض حجاجية، وفي تظافر مع الغرض الجمالي يقع التكامل في الأسلوب.

ثالثا: حجاجية البديع:

علم البديع "مما يكسو الكلام حلّة التزيين ويرقيّه أعلى درجات التحسين، في وجوه مخصصة كثيرا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام"³⁵ وهذا الفن يسهم في إقناع المتلقي من خلال وجوه كثيرة (معنوية ولفظية) نذكر منها:

1- براعة الاستهلال:

اشتملت افتتاحية سورة الرَّحْمَن على موضوعها ومقصدها تلميحاً: {الرَّحْمَنُ (01)} ثم جاء بعدها تفصيل (تعداد للنعم) تجلّت فيه روعة الافتتاح، ممّا يجذب السّامع أو القارئ المتلقي ويدعوه إلى الإصغاء والمتابعة. قال فيها الطاهر بن عاشور: "ولأنّ معظم هذه السّورة تعداد للنعم والآلاء، فافتتاحها باسم الرَّحْمَن براعة استهلال"³⁶ وبراعة الاستهلال "تكون في البدء بما يكون فيه إلماح إلى المقصود"³⁷ أي أن يكون في فاتحة الكلام ما يشير إلى غرض المتكلم، وهو في الشّعر ردّ الأعجاز على الصّدور³⁸ وتظهر حجّية هذا الوجه من البديع في كونه يسهم بشكل متميّز في إقناعنا بصفة الرّحمة الإلهية من أوّل لفظة نقرأها، فكان له عظيم الأثر.

2 الجناس:

وهو "أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا"³⁹ أي أنّه توافق في المبنى والشكل بين كلمتين مع اختلافهما في المعنى والدلالة، وفي السّورة يقول الله تعالى: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (22)} جناس ناقص بين (مَرَجَ/ المَرْجَان) حيث يقوم على تناسب صوتي، يتجسد في تقارب وحدتين صوتيتين (مَرَجَ/ المَرْجَان) يرافقه اختلاف في الدلالة بينهما (خلط/ حجر كريم) في مفارقة عجيبة يتحقق بها جلاء المعنى، حينما يجتهد المتلقي في إعمال عقله. "فبينما هو يريك أنّه سيعرض عليك معنى مكرراً ولفظاً مرّداً لا تجني منه غير التّطويل والانقباض والسّامة، إذ هو يروغ منك، فيجلو عليك معنى مستحدثا يغيّر ما سبقه كل المغايرة"⁴⁰

وفي قوله تعالى: {... وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ (54)} جناس ناقص أيضا، وفيه جمع بين اللفظين المتشابهين في المبنى المختلفين في المعنى (جَنَى/ الْجَنَّتَيْنِ) وغرضه تحقيق التّناسب والانتلاف بين اللفظين المتجانسين، ومع ما يرافقه من إيقاع ونغم موسيقي لطيف تحدث المفارقة الدلالية المؤدّية إلى

حسن الإفادة؛ فما يجنى من ثمارها قريب المتناول للقائم والجالس والمتكئ، وما خلقت الجنان إلا للتمتع بهذه الثّمار. وقد احتفى البلاغيون بمزايا الجناس بعدّه محسّنا لفظيا له من الجمال والقيمة الفنيّة ما له، خاصّة في شقّه الذي يقوم على المفارقة بين الألفاظ معنويا ودلاليا، ممّا أثبت علو قيمته الحجاجية.

3- الفاصلة القرآنية (السّجع):

السّجع في القرآن الكريم كثير، حتّى أنّه ليؤتى بالسّورة جميعا مسجوعة كسورة الرَّحْمَن⁴¹ ففي حرفي الألف والنون (ان) و حرفي الألف والميم (ام) آخر كل آية -والنون والميم متقاربان في المخرج (الخبشوم/ الشّفة)- جرس موسيقي تألفه الأذن وتطرب لسماعه، مثلا الألف والنون في قول الله تعالى: {الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)... والألف والميم في قوله: ((وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (24) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (25) كُلُّ مَنْ عَلِمَهَا فَإِنَّ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)) تنتهي هذه الآيات الكريمات بفواصل متوافقة ذات جرس ونغم موسيقي (ان/ام)، يحدث إيقاعا صوتيا تطرب له الأسماع، وتتأثر به النفوس وتميل إليه بالطّبع، وهذا المحسن البديعيّ الفنّي الجميل الذي سماه علماء البلاغة السّجع، يطلق عليه -تادبا مع القرآن الكريم- مصطلح الفواصل القرآنية* والملاحظ أنّ هذه الفواصل في السّورة كلّها تحتوي على مدود إلا في آية واحدة: {...كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29)} وهذا ما جعل السّجع يتمثّل في السّورة الكريمة كمحسّن بديعي أكسبها بعدا تأثيريا، إذ أنّ دخوله على الكلام ليس كخلوه منه؛ فكان له عظيم الأثر في نفس المتلقي، زيادة على ما فيه من قوة ووضوح في بناء العبارة، إذ أنّ الألفاظ تبع للمعاني⁴² وهي تزيد التّعبير قوة ووضوحا بعدّها غاية حجاجية التّزمت بها سورة الرَّحْمَن في عديد المواضع. يقول عبد القاهر الجرجاني في جمالية البديع حينما يرد عفو الخاطر: "فإنّك لا تجد تجنيسا مقبولا، ولا سجعا حسنا، حتّى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه وحتى تجده لا تبتغي به بدلا، ولا تجد عنه حولا"⁴³

كما أنّ تكرار وتّرداد مقام الامتنان والتّعظيم في السّورة إحدى ثلاثين مرّة، انطلاقا من الآية السادسة عشرة بعد كل آية أو آيتين، وهو قول الله تعالى: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}* جعل لها إيقاعا موسيقيا جذابا ومؤثرا يستقطب القلوب قبل

هما وسيلتا تأثير واستمالة، بل وتوضيح؛ فبأضدادها تعرف الأشياء. وإحضر الضدّ زيادة في التوضيح والبيان، وهو أسرع في إيصال المعنى للأذهان، ولنا في الآيات الكريمة دليل على حاجيّة الطّباق وتأثيره على المتلقي: ففي قول الله تعالى: {وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا ... وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10)} جمع بين شيئين متوافقين: (السَّمَاءَ رَفَعَهَا) وما يقابلها في المعنى على الترتيب (الْأَرْضَ وَضَعَهَا) في مقابلة بديعة زادت المعنى قوّة ووضوحاً وجمالاً. فالمقابلة من الوسائل البلاغيّة التي تكسب القول قوة تأثيرية وتدعم طاقته الحجاجيّة؛ لأننا حينما نورد الألفاظ ثم يؤتى بما يقابلها، فإن ذلك يسهم بصفة كبيرة في جلاء معانيها للمتلقي، ويكسبه درجة كبيرة من الاقتناع.

لقد ورد الطّباق بنوعيه (إيجاب/ سلب) في قول الله تعالى: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ (15)} وهو طباق إيجاب بين (الْإِنْسَانَ/ الْجَانَّ) وفي قول الله تعالى: {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17)} طباق إيجاب بين (الْمَشْرِقَيْنِ/ الْمَغْرِبَيْنِ) وفي قول الله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)} طباق إيجاب كذلك بين (فَانٍ وَبَقِيَ) وفي قول الله تعالى: {إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33)} طباق سلب جمع بين فعلين أولهما مثبت والآخر منفي (انْفُذُوا/ لَا تَنْفُذُونَ) فكان هذا التّقابل بين المتضادات منتجا دلالات قويّة ترسخ في ذهن المتلقي.

إنّ الجمع بين الشّيء وضمّه هو "الجمع بين معنيين متقابلين"⁵¹ (أو أكثر في المقابلة) ممّا يجعل تفسير المراد أكثر سهولة، فوجود النقيض يبرز التّمايز، وبه يستوفي المعنى حقّه غير منقوص، ويصير أمر العبارة أبين وأظهر مع شيء من الحسن. قال الشّاعر دوقله بن العبد المنبجي في قصيدته اليتيمة: [من الكامل]

ضدّان لمّا استجمعا حسنا

والضدّ يظهر حسنه الضدّ⁵²

يعدّ عنصر البديع من أهمّ الأدوات الحجاجيّة البلاغيّة، وقد استغلها الخطاب القرآني واستثمرها من خلال ما تضمّنه من خاصيّتين فريدتين هما الجماليّة والحجّة، فكان لهما عظيم التأثير على المتلقي إذ تصلان به إلى الافتتان والاقتناع في الوقت نفسه.

خاتمة:

الأذان. "فقد تكرّرت كثيرا في هذه السّورة، وهذا التّكرار أحلى من السّكر إذا تكرّر. وإنّما حسن للتّقرير بالنّعم المختلفة المعدّدة، فكلمّا ذكر سبحانه نعمة أنعم بها وبخّ على التّكذيب بها، كما يقول الرّجل لغيره: ألم أحسن إليك بأنّ خوّلتك في الأموال؟ ألم أحسن إليك بأنّ فعلت بك كذا وكذا؟ فيحسن فيه التّكرير لاختلاف ما يقرّر به"⁴⁴ وقد قيل: التّكرير طرّد للغفلة وتأكيد للحجّة. وهو أسلوب موجود في عدّة سور من القرآن: الشعراء، والصفاء، والقمر، والمرسلات.⁴⁵ وفي التّكرار في الرّحمن يقول شوقي ضيف: "وكأنّما يراد الاتّساع بها في التّردّد والإرنان والارتفاع بالصّوت والتّرنّم به، استشعارا لرحمة الله وجلاله"⁴⁶ ولعلّ من أهمّ وظائف التّكرار أنه "محاكاة الامتداد اللّانهائي للكون، وتعميق الشّعور بالمدى المطلق الذي نعيش فيه بوصفنا بعض عناصره المتكرّرة، شأننا في ذلك شأن مفردات الطّبيعة التي تتكرر بها دورات الفصول، وتعاقب الليل والنّهار، إلى آخر كلّ ما يدور في الكون من حركة التّكرار الأزليّ للوجود"⁴⁷

تقوم سورة الرّحمن على التّثنية حين مخاطبتها للإنس والجنّ، ولكنّنا بإمعان النّظر نجدها قائمة على التّثنية في عمومها ككلّ، "وهي تأكيد لعظمة الأمر الإلهي"⁴⁸ يقول إبراهيم عوض: "وعلى آية حال ليست التّثنية في السّورة مقصورة على خطاب الإنس والجنّ فحسب، بل يشمل كل شيء فيها تقريبا: الشّمس والقمر، النّجم والشّجر، السّماء والأرض، المشرقان، والمغربان، والفاكهة والتّخيل، والحبّ والرّمان، والمجرمون والذين يخافون مقام ربهم، والبحران، وشواض النّار والنّحاس، والجنتان اللتان من دونهما جنتان، والعينان الجاريتان، والعينان النّضّاختان، والياقوت والمرجان، والرّفرف والخضر والعبقري الحسان، وجهنّم والحميم الآتي، بل إن الله سبحانه ووجهه الأقدس قد وُصف كلّ منهما بأنّه ذو جلال وإكرام. وهاتان صفتان اثنتان"⁴⁹ فكانت "السّورة عبارة عن سمفونية ثنويّة تؤدّي في نهاية المطاف إلى الوحدانية (متمثّلة في الخالق الأوحد سبحانه وتعالى)"⁵⁰ إنّ في قرع أذن السّامع وتوجيه انتباهه واستمالاته بواسطة الجرس الموسيقي من خلال هذا التّناسب العجيب للموسيقى الدّاخلية فيها، يساعد في توكيد الفكرة وتقبّل عناصرها التي تلاءمت ومقتضى الحال.

4- الطّباق والمقابلة:

خلال مفهوم البلاغة عند بلاغيينا ومنهم الجاحظ الذي يرى أن: "جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة"⁵³ و ابن المقفع: "البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج"⁵⁴ و ابن الأثير وذلك حين يقول: "مدار البلاغة كلها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم؛ لأنه لا انتفاع بإيراد الأفكار المليحة الرائقة، ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها"⁵⁵ إذ يؤكدون بعدها الحجائي الذي يعدُّ مركز الاهتمام الأول حتى قبل البعد الجمالي.

ومن التوصيات توجيه الطلاب والباحثين إلى دراسة الحجاج البلاغي في مختلف السور القرآنية، أو خطابات أخرى لم تحض بالدرس والتحليل كالأحاديث النبوية الشريفة، والشعر، والخطب، والمقالات، والرسائل، والإشهارات... سعيًا لإبراز مكنوناتها البلاغية وإيفائها حقها، وإغناء للمكتبة العربية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم عوض، سورة الرحمن؛ دراسة بلاغية وأسلوبية، بحث منشور في شبكة الألوكة، (1438هـ-2016م)
2. أبو الحسن حازم القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح/ محمد الحبيب بن الخوجة، ط03، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (1986م)
3. أبو القاسم محمود جار الله الرّمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح/ خليل مأمون شيحا، ج27، ط03، دار المعرفة بيروت، لبنان، (1430هـ-2009م)،
4. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ط01، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، (1426هـ-2006م)
5. أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح/ عبد السلام هارون، ط02، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (دت)

بعد هذه الرحلة الماتعة مع سورة الرحمن وأساليبها البلاغية وقفنا على جملة من الملامح؛ فمن أرق صور البيان التي تحفل بها السورة الكريمة: التشبيه، الاستعارة، الكناية، التوهيم. ومن ملامح المعاني: الاستفهام، الحذف، الإطناب، التقديم والتأخير. كما تجلّى فيها من البديع محسنات لفظية ومعنوية هي: براعة الاستهلال، الجناس، السجع، الطباق والمقابلة. وعليه فإن سورة الرحمن تزخر بأنواع من الأساليب والآليات الحجاجية البلاغية المختلفة، والتي يعدُّ البديع أظهر وأبرز هذه الألوان فيها.

لقد اكتسب الخطاب القرآني (سورة الرحمن) قوة إقناعية ذات بعد تأثيري كبير، من خلال حضور وتوظيف مختلف الآليات البلاغية فيه، قد سلكها الخطاب القرآني لعرض فكرته، والتعبير عن مراده بالشكل الذي يليق لإحداث التأثير في المتلقي، وضمان حصول الاقتناع لديه، وذلك لما تحمله هذه الآليات البلاغية من إمكانات حجاجية تنتجها وتتيحها خصائصها التصورية والتركيبية والإيقاعية ذات الخطر:

فالبیان في السورة (التشبيه، الاستعارة، الكناية، التوهيم) من أهم التقنيات التي يتوسل بها الخطاب الحجائي القرآني للتأثير في المتلقي وإقناعه كونه يتضمن فاعلية حجاجية إلى جانب كونه طريقة من طرق الكلام.

وأساليب المعاني (الاستفهام، التقديم والتأخير، الحذف، الإطناب) تعدُّ شكلاً مهماً من أشكال الحجاج، وأسلوباً قوياً من أساليب الإقناع، والتي برزت بشكل بين وظاهر في سورة الرحمن، لتدفع المخاطب إلى الاقتناع والإذعان.

أما العناصر البديعية في الرحمن (براعة الاستهلال، الجناس، الفاصلة القرآنية أو السجع، الطباق والمقابلة) فقد أكسبت الخطاب إيقاعية متعددة ماثلة في السورة تمنح الكلام بفضل خصائصها الصوتية إلى جانب جمالية الإمتاع في الإيقاع، حصاً أوفر من الإقناع، تبعث المتلقي على التصديق. وقد تعاضدت حجج البیان والمعاني والبديع بعضها ببعض في السورة الكريمة، لتكوّن خطاباً ذا بعد حجاجي-إضافة إلى خاصيته الإمتاعية الجمالية- للوصول إلى غايته ووجهته الإقناعية.

ومما يجدر الإشارة إليه هو أنّ الحجاج البلاغي قد تبلور مفهومه -قبل الغرب- عند العرب منذ القدم، وهذا واضح من

6. أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الصناعاتين، تح/علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دط، المكتبة العنصرية، بيروت، لبنان، (1419هـ)
7. توفيق شعبان، الإيجازُ وجمالياتُه الفنيَّة والدلاليَّة في الحديث النبوي الشريف؛ الأربعون المكيَّة أنموذجاً (رسالة ماستر)، تخصص بلاغة وأسلوبية، كلية الآداب واللغات جامعة ابن خلدون، تيارت، (1438هـ-2017)
8. جابر عصفور، تكرار التشبيه، مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، العدد 507، (فبراير 2001)
9. حضرات حفنى بك ناصف وآخرون، قواعد اللغة العربيَّة، ط10، وزارة المعارف العموميَّة، المطبعة الأميريَّة، القاهرة، مصر، (دت)
10. خالد بن عثمان السَّبْت، قواعد التَّفْسير؛ جمعا ودراسة، ج2، ط01، دار بن عقَّان، القاهرة، مصر، (1421هـ)
11. الرَّماني، رسالة التَّكْت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح/محمد خلف الله ومحمد زغلول إسلام، ط03، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت
12. شوقي ضيف، سورة الرَّحْمَن وسور قصار، ط03، دار المعارف، القاهرة، مصر، (1995م)
13. صلاح الدِّين المنجِّد، القصيدة اليتيمة برواية القاضي علي بن المحسن التَّنُوخي، ط03، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، (1983م)
14. ضياء الدِّين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدَّمه وعلَّق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبَّانة، ج02، دط، دار نهضة مصر للطباعة والنَّشر، الفجَّالة، القاهرة، (دت)
15. عبد الرَّحْمَن حسن حبَّكة الميداني، البلاغة العربيَّة أسسها وعلومها وفنونها، ط01، الدَّار الشَّامية، بيروت، لبنان، (1416هـ-1996م)
16. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح/محمود شاکر، ط01، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، (1412هـ-1991)
17. عبد القاهر بن عبد الرَّحْمَن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح/محمود محمد شاکر أبو فهر، ط03، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، (1413هـ - 1992م)
18. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط01، دار الأمان، الرباط، المغرب، (1434هـ-2013م)
19. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم؛ من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط02، دار الفرابي، بيروت، لبنان، (2007م)
20. عبد الله صولة، الحجاج؛ أطره ومنطقاته وتقنياته بحث منشور ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربيَّة من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمّود، د ط، كلية الآداب متَّوبة، المطبعة الرّسميَّة للجمهورية التُّونسيَّة، تونس، (1998م)
21. عبد الملك مرتاض، نظام الخطاب القرآني؛ تحليل سيميائي مرَّكب لسورة الرَّحْمَن، د ط، دار هومه، بوزريعة، الجزائر، (2001)
22. علي الجندي، فنُّ الجناس، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (1954)
23. فاضل صالح السَّمرائي، لمسات بيانيَّة في نصوص من التَّنزيل، ط03، دار عَمَّار للنَّشر، عمان، الأردن، (1423هـ-2003م)
24. مجموعة من العلماء والباحثين، الموسوعة العربيَّة العالميَّة الالكترونيَّة، مؤسسة أعمال الموسوعة للنَّشر والتَّوزيع، المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، (1996م)
25. محمَّد الطَّاهر بن عاشور، تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ط01، الدَّار التُّونسيَّة للنَّشر، تونس، (1984هـ)، ج27، ص227-228
26. محمد مشبال في بلاغة الحجاج؛ نحو مقارنة بلاغيَّة حجاجيَّة لتحليل الخطابات، ط01، دار كنوز المعرفة للنَّشر والتَّوزيع، عمان، الأردن، (1438هـ-2017م)
27. محمود بن عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه؛ مع فوائد نحوية هامة، مج27، ط04، دار الرِّشيد مؤسَّسة الإيمان، دمشق، (1418هـ)
28. نخبة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ط04، مركز تفسير للدراسات القرآنيَّة، الرياض، المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، (1439هـ)

29. يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي، مفتاح العلوم،
تح: عبد الحميد الهنداوي، ط03، دار الكتب العلميّة،
الهوامش:
- ¹ - ينظر: عبد الله صولة، الحجاج؛ أطره ومنطلقاته وتقنياته بحث منشور ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، دط، المطبعة الرّسميّة للجمهورية التّونسيّة، تونس، (1998م) ص299
* من السّور المختلف حول كونها مدنيّة أو مكّيّة، وهي في مصحف ورش مدنيّة.
- ² - ينظر: نخبة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ط04، مركز تفسير للدراسات القرآنيّة، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، (1439هـ)، سورة الرحمن
- ³ - محمّد الطّاهر بن عاشور، تحرير المعنى السّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ج27، ط01، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، (1984هـ)، ص227-228
- ⁴ - مجموعة من العلماء والباحثين، الموسوعة العربيّة العالميّة الالكترونيّة، مؤسسة أعمال الموسوعة للنّشر والتّوزيع، المملكة العربيّة السّعوديّة، (1996م)
- ⁵ - نخبة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، سورة الرحمن، ص531
- 6 - يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح/ عبد الحميد الهنداوي، ط03، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، (2014م)، ص249
- ⁷ - شوقي ضيف، سورة الرّحمن وسور قصار، ط03، دار المعارف، القاهرة، مصر، (1995م)، ص43
- ⁸ - محمود بن عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه؛ مع فوائد نحوية هامة، ج27، ط04، دار الرّشيد مؤسّسة الإيمان، دمشق، (1418هـ)، ص93-94
- ⁹ - نفسه، ص100
- 10 - نفسه، ص103
- 11 - أبو الحسن حازم القرطاجيّ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح/ محمد الحبيب بن الخوجة، ط03، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (1986م)، ص96
- 12 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح/ محمود شاكر، ط01، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، (1412هـ-1991)، ص20
- 13 - أبو بكر العزّاوي، اللّغة والحجاج، ط01، العمدّة في الطّبع، الدّار البيضاء، المغرب، (1426هـ-2006م)، ص108
- 14 - محمود بن عبد الرّحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ج27، ص88
- 15 - ينظر: محمد مشبال في بلاغة الحجاج؛ نحو مقارنة بلاغيّة حجاجيّة لتحليل الخطابات، ط01، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، (1438هـ-2017م)، ص254
- 16 - عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط03، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، (1413هـ-1992م)، ص66
- 17 - محمّد الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج27، ص235
- 18 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص70
- 19 - أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الصّناعتين، تح: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دط، المكتبة العنصرية، بيروت، لبنان، (1419هـ)، ص350
- 20 - محمود بن عبد الرّحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ج27، ص88
- 21 - إبراهيم عوض، سورة الرّحمن؛ دراسة بلاغيّة وأسلوبية، بحث منشور في شبكة الألوكة،
<https://www.alukah.net/sharia/0/109900> (الثلاثاء، 10 أغسطس 2021، 11:08) ص23
- 22 - يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ص247
- 23 - ينظر: عبد اللّطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط01، دار الأمان، الرّباط، المغرب، (1434هـ-2013م)، ص215
- 24 - ينظر: فاضل صالح السّمراي، لمسات بيانيّة في نصوص من التّزّيل، ط03، دار عمّار للنّشر، عمان، الأردن، (1423هـ-2003م)، ص20
- 25 - ينظر: دلائل الإعجاز، ص96 وما بعدها
- 26 - محمّد الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج27، ص27230
- 27 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص152
- 28 - ينظر: توفيق شعبان، الإيجاز وجَماليّاتُه الفنيّة والدّلاليّة في الحديث النّبويّ الشّريف؛ الأربعون المكيّة أنموذجاً (رسالة ماستر)، تخصّص بلاغة وأسلوبية، جامعة ابن خلدون، تيارت، (1438هـ-2017)، ص67 وما بعدها
- 29 - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم؛ من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط02، دار الفرائي، بيروت، لبنان، (2007م)، ص400
- 30 - ينظر: عبد الرّحمن حسن حيّكة الميداني، البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها، ج01، ط01، الدّار الشّامية، بيروت، لبنان، (1416هـ-1996م)، ص330
- 31 - ضياء الدّين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، قدّمه وعلّق عليه أحمد الحوفي وبدوي طيّان، ج02، دط، دار نهضة مصر للطباعة والنّشر، الفجّالة، القاهرة، (دت)، ص120
- 32 - محمود بن عبد الرّحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ج27، ص106
- 33 - محمّد الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج27، ص270
- 34 - ينظر: خالد بن عثمان السّبت، قواعد التّفسير؛ جمعا ودراسة، ج02، ط01، دار بن عفّان، القاهرة، مصر، (1421هـ)، ص702
- 35 - يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ص532

- 36- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 27، ص 231
- 37- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج 02، ص 559
- 38- أبو هلال الحسن العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر، ص 429
- 39- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، ج 01، ص 262
- 40- ينظر: علي الجندي، فنُّ الجناس، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، مصر، (1954)، ص 29-30
- 41 - ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، ج 01، ص 210
- * للتوسع في اختلاف الآراء في السجع ينظر: ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، ج 01، ص 211 وما بعدها. وينظر: الرّماني، رسالة النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول إسلام، ط 03، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، ص 97
- 42- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 52
- 43- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح/ محمود شاكر، ص 11
- ** سماها عبد الملك مرتاض آية البأرتة في كتابه: نظام الخطاب القرآني؛ تحليل سميائي مركّب لسورة الرحمن، دار هومه، دط، بوزريعة، الجزائر، (2001) ص 20
- 44- محمود بن عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، مج 27، ص 91
- 45 - ينظر: أبو القاسم محمود جار الله الرّمخشري، الكشف عن حقائق التّنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التّأويل، تح: خليل مأمون شيحا، ج 27، ط 03، دار المعرفة بيروت، لبنان، (1430هـ-2009م)، ص 1067-1068
- 46- شوقي ضيف، سورة الرحمن وسور قصار، ط 03، دار المعارف، القاهرة، مصر، (1995م)، ص 25
- 47- جابر عصفور، تكرار التشبيه، مجلّة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، العدد 507، (فبراير 2001)، ص 88
- 48 - إبراهيم عوض، سورة الرحمن؛ دراسة بلاغية وأسلوبية، بحث منشور في شبكة الألوكة، (1438هـ-2016م)، نقلا عن: مليك غلام فريد، ص 15
- 49- إبراهيم عوض، سورة الرحمن؛ دراسة بلاغية وأسلوبية، ص 17-18
- 50- ينظر: نفسه، ص 18
- 51- حضرات حفي بك ناصف وآخرون، قواعد اللغة العربية، وزارة المعارف العمومية، ط 10، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر، (دت)، ص 132
- 52- صلاح الدين المنجد، القصيدة البيتمة برواية القاضي علي بن المحسن التّنوخي، ط 03، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، (1983م)، ص 30
- 53- أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح/ عبد السلام هارون، ط 02، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (دت)، ص 88
- 54 - نفسه، ص 115-116
- 55 - ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج 2، ص 64